الفصل الرابــع

بَعْدَ الانتخابات البرلمانية، رجعت مدام أمنية تتصل، فقام للسعادة قلب مجاهد، وكانت الزوجة هي من ردّت عليها:

- وعليكم السلام، أهلًا يا مدام أمنية، كيف الحال؟ وكيف حال الزوج وحال البنات؟ وسألتها: ألا تأتوا إلى المنصورة فتمروا علينا.. قالت:

- وأنتم ألا تأتوا إلى القاهرة أبدًا؟ لا؛ أنتم نسيتمونا؟ اتصلت عدة مراتٍ في أوقاتٍ مختلفةٍ فلم أُحَصّلْ أحدًا٠ فَسُرَّ قلب مجاهد، وكان يسمع طرف الحديث، واستمر يدق، وقال في نفسه: هذه رسالة اعتذار إليك؟..وخطر له رَدُّها العنيف:

- لا، الأمر منتهٍ، طلبٌ في غير مَحله..حين طلب خِطْبَة ابنتها؛ وقالت للزميلة الرسول:

- أنا لا أدري ما الذي جعله يفكر كذلك؟!

كان ردّها لا ينفك يحضره آلاف المرات؛ ليلًا ونهارًا؛ واشتم منه حينها رائحة فكرٍ كريهة تنبئ عن عقيدتهم فيه؛ فقال لنفسه: هؤلاء مهما

يكن بينك وبينهم مودة فليست عندهم المرتجى. وآلمته العبارة جدًا، وفي كل مرة كانت تحضره كان يَخْلُصُ لنفس النتيجة! وعندما كان الشوق يطلبها؛ كان يأخذ بجماع ردها القاسي فيصدم به قلبه؛ وجَهَدَ لإخفاء غضبه، واعتصم بالهدوء، وتجنب الإلماحَ للموضوع من قريبٍ أو من بعيدٍ؛ وصرف ذهنه عنه كأنّ لم يقع في عالم الواقع أبدًا، وابتسم يسألها:

- انتخبتِ مَن للبرلمان؟ فضحكت:
- الكتلة.

فَدُهِشَ إذ الكُتْلَةُ مجموعة من الأحزاب الليبرالية بها زعيم من النصارى! فاسترجع يومًا كان قد سأل فيه عن طبيعة عمل ابنتها "عالية " وعمَّا إذا كانت تعمل مدرسةً؟ فأخبرت أن بنتاها لا يحبون العمل في الحكومة؛ بل تعمل في القطاع الخاص في مشروع للاستيراد والتصدير يمتلكه نصارى؛ وأكدت؛ غير أنها لا تدع مصحفها يغيب عن حقيبة يدها؛ ولم ترَ من القوم أي غضاضة عندما كانت تستخرجه فتقرأ فيه.. فأعاد عليها:

- انتخبت الكتلة؟! قالت:

- نعم، لأن فيهم د/ محمد غنيم وأنا أثق في اختيار هذا العالم الكبير.

- أنا انتخبت حَزْبَ النَّور؛ السَّلَفي..قالت:

- هؤلاء ناسٌ مُتَشَدّدون.

- مصيرهم إلى التَّعلم طالما دخلوا في السياسة، وردَّ؛ يتركون تشددهم سريعًا.. فعرجت تلمّح للموضوع لمَّا عرج يسألها عن الزوج والبنات مُجاملةً، فأنبأت مسرورة:

- عالية تزوجت، وسافرت مع زوجها الإمارات، فهلَّلَ يدقق العبارة؛ يقتطع الكلمات اقتطاعًا:
- واللهِ أُسْعِدنا؛ ولو دُعينا لحضرنا نهنئ.. فأوْغَلَتْ تَوَدُّ اعتذارًا:
- أثناؤها كان هناك كلامًا يجري عليها.

فزادت الطين بِلْة؛ وتأكد له ظنه الذي ظنَّ؛ فزهد - في هذه اللحظة - في الأم والابنة جميعًا، فأنف في نفسه: عذْرٌ أقْبَحُ من ذنب.. فأغفلها، واستمر يؤكد لسماحته؛ أنه لو دُعيا - أي والزوجة - لحضرا العُرْس..وأردف:

- أَسْعَدَنا هذا الخبر كثيرًا؛ اعتبرهنَّ بناتي.
- أنا متأكدة من هذا.. وقالت في مغزى:
- خلاص، كَبِرْنَا! ورغم استدعاءها الضحك؛ كانت النبرة تأسى:.. "والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحًا"..، فأراد أن يبين أن الشأن على خلاف ما تعتقد تمامًا؛ وأنه ما اختار عليها غيرها، فقط أعياه البحث عن حلٍ لتلك المُعضلة: كيف يستقيم له رؤيتها، أو مجرد محادثتها؛ وقد بات لا يطيق الجوى؟! وفكر كثيرًا في السبل؟.. واتفق الآن أن أمَّه، وأمَّ زوجته كانتا عنده؛ تجلسان جميعًا بنفس الحجرة على نفس السرير الذي يجلس عليه؛ فطالت المكالمة؛ وبدا منهما الإنصات للحديث ولمح تساؤل:

ما اهتمامه هذا الكبير بامرأة ليست من أهله؟ أهي بالنسبة إليه أكثر من زميلة؟ والمرأة تنْسَمُ رائحة الأحاسيس مهما بلغ بها السنُّ كما تَنسمُ رائحة طبيخها يَشِيطُ ! فحاول إنهاء المكالمة؛ فبعث بسلامه إلى الزوج أولًا في رسالة مقصودة، وثنّى بالبنات؛ دون أن يقدر على بيان الحقيقة؛ وبقي هذا الشأن خَفِيٌ عنها؛ وجَاهَدَ جهادًا كبيرًا كي لا يفسد عليها عيشها.

وكان الهَرْجُ والمَرْجُ قد عصف بالبلاد عصفًا شديدًا بعد ذهاب رؤوس نظام مبارك إلى السجن، وفرار منْ فَرَّ منهم إلى الخارج؛. وكان رأيَ العين مبارك الذي ظل يحكم مصر ثلاثين عامًا ونجليه، في جلسات المحاكمة وراء القضبان بملابس السجن قد جرّأ الناس نحو المسئولين كثيرًا، وباتت الأيدي مُرتعشة جدًا؛ وأَثَّرَ الميدان في اتخاذ القرار؛ وأصبح المسئولون يخشون أن يخطئوا - ولو عن غير قصدٍ - فيكون مصيرهم مصير مبارك وهؤلاء؛ وراء القضبان.. وزاد في فَشوى رعب المسئولين وسائل الإعلام، والحوارات الدائرة؛ وقالت الجرائد كلاعب أساسي تزكي هذا الرعب، حتى الحكومية منها، وكان العنوان الرئيس لإحداها في الثاني والعشرين من أبريل ٢٠١١: معاينة مستشفى سجن طرة لاستقبال مبارك.. الرئيس السابق يطلب من المجلس العسكري البقاء في شرم الشيخ؛ مبارك يبكي، ويعاني من اختناقٍ وشعورٍ بالملـــــل..

وثناءُ، وزوجها ياسر من ضحايا هذا الرعب.. لقد اضطرت لقمة العَيْش ياسر إلى السفر إلى " السعودية " وحاول استقدام زوجته ثناءَ وَلَوْ زيارة؛ ثلاثة

شهور، ولأنه يعمل بإحدى المهن الدنيا "عامل مِعْمار"، وقوانين الدولة تمنع الاستقدام إلا أن يكون الزوج من أصحاب المؤهلات العُلْيا، سعى ياسر كثيرًا حتى اشترى لزوجته تأشيرة دخول تحت مسمى وظيفي " خياطة نسائية "، ولأن هذه الوظيفة من الوظائف المحظور سفر النساء المصريات عليها إلا أن يكون الزوج هناك، أو قريب من الدرجة الأولى، بالإضافة إلى الحصول على موافقة المستشار العمالي المصري المتواجد بتلك الدولة على التعاقد؛ على الرغم من معرفة جميع المسئولين أن المرأة في هذه الحالة لا تكون مسافرة للعمل بل لمرافقة الزوج؛ ولمشكلة حدثت قبل الثورة لنساء مصريات سافرن عاملات منزليات، فتناولت وسائل الإعلام المشكلة؛ ونفخت فيما يتعرض له الشعب المصري من الإهانة في الداخل والخارج من أجل لقمة العيش، تحت سمع وبصر الحكومة التي لا تصنع شيئًا سوى الكذب.. فأصدرت الوزيرة عائشة عبد الهادي قرارًا بحظرِ سفر النساء من أرباب مهن؛ عاملة منزلية، كوافيرة، خياطة نسائية، وما في حكمهن.. وتحت ضغط البطالة، ومطالبات أعضاء من مجلسيّ الشعب، والشورى رجعت الوزيرة ففتحت الباب لسفرهن بشرط، استدعاء المواطنة؛ لتأخذ عليها الوزيرة إقرارًا صريحًا زيادة في الاحتياط لنفسها، بعد سؤال المواطنة عن سبب سفرها الحقيقي ليتأكد لمعاليها حسن سير المواطنة وسلوكها؛ لتقوم بالتوقيع بالموافقة على الفيزا لا على العقد، لمرافقة الزوج..وقامت ثورة يناير، وأقيلت حكومة نظيف، وبقيت الوزيرة ضمن التشكيل الوزاري الجديد فأسرعت دون تريث بغلق بابًا قد يأتيها منه الريح؛ حظرت سفر النساء بتاتًا من أرباب تلك المهن

زلفى للثّوار؛ فأصاب القرار ثناء وزوجها ياسر في مقتل؛ فتقدمت إلى مجاهد بالمشكلة؛ فأملاها طلبًا، تتقدم به إلى الوزيرة؛

بسم الله الرحمن الرحيم

معالي السيدة/عائشة عبد الهادي؛ وزيرة القوى العاملة والهجرة.

تحية طيبة، وبعد.

مقدمه لسيادتكم ثناء فهيم فريد معوض؛ موظفة بمستشفى المنصورة الجامعي، ألتمس الموافقة على سفري لزوجي/ ياسر عبد العزيز توفيق؛ عامل معمار بدولة السعودية منذ ثلاث سنوات مضت، وحاولت منذ سفره السفر له، عمرة، أو زيارة، أو استقدامًا إلا أنه لم يتيسر لي ذلك.

ثم وفقه الله أن يرسل لي تأشيرة؛ خياطة نسائي لمَشْغَل صاحبته السيدة/ وضحة عبد الله العجمي؛ مرفق لسيادتكم الأوراق الدالة على ذلك.. تأشيرة لي من مَشْغَلِ خياطة نسائي، لصاحبته السيدة...

١- صورة رخصة الإقامة الخاصة بزوجي هناك.

٢- أصل موافقة وزارة العدل السعودية لزوجي على سفري.

٣- وثيقة عقد الزواج.

٤- جواز السفر الخاص بي.

ألتمس من معاليكم الموافقة على سفري لزوجي ليستقر شملنا، ولأنني تعبت وملأ اليأس قلبي التجأت لله ثم لمعاليكِ حتى تزيلي الدموع من أعين ملأها الحزن.

وفقك الله لفعل الخير، وثبت قدميك وأيدكِ بنصره.

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام.

تحريرًا في ١٣/ ٢/ ٢٠١١م

مقدمه لسيادتكـــــــم

ثناء فهيم فريد معو

الموظفة بمستشفى المنصورة الجامعي

وسافرت لمقابلة الأستاذ/ رمضان عثمان؛ مدير عام الإدارة العامة للتشغيل والتمثيل الخارجي بالوزارة كما فطَّنها مجاهد: أنها جاءت بأوراق محققة للشروط حين لجأتُ أوَّل مرة للإدارة في الدقهلية فَطَلَبَ مني أ/ مجاهد. يحرضها على نفسه، طبقًا للقرار الوزاري القديم.. وقال:

- آسى للنقود الكثيرة - سبعة عشر ألف ريالٍ سعوديّ - التي أنفقها زوجك في شراء هذه التأشيرة؛ لقد أصبح الباب اليوم مغلَقا.. فقالت والدموع تترقرق في عينيها:

- وهل يستجيب لي الأستاذ رمضان؟

- ليس لنا أن نيأس؛ اذهبي فقولي له ذلك: برجاء يا أستاذ رمضان عرض أوراقي هذه على معالي الوزيرة؟ وبكت:

- زوجي شقيَ حتى حصل على هذه الأوراق، ودفع فيها مبالغ كبيرة سَلَفَهَا من أيدي الناس.

- مرفوضة؛ قال رمضان دون أن ينظر لأيّها؛ فتركته وذهبت من فورها - كما فطَّنها مجاهد إلى مكتب معالي الوزيرة:

- أنا صاحبة حق، أنجزت كل ما طُلِبَ مني حين كان الباب مفتوحًا.. فزجرتها سكرتيرة معالي الوزيرة:

- ليست عندنا نساء تسافر خارج البلاد. تذهبون لأعمالٍ غير شريفة.. ولأن ثناء شرحت لسكرتيرة الوزير؛ أن زوجها هناك منذ ثلاث سنوات؛ وأنها مسافرة له؛ جأرت تبكي:

- حسبي الله ونعم الوكيل.. وتركتها وذهبت لـ د. جمال سرور؛ الرئيس الأعلى لـ رمضان؛ كُلُّه بِتَحْرِيضِ مجاهد؛ ولمَّا لم تصل مع طاقم مكتبه إلى شيء، ومنعت من مقابلته عادت لمناشدة رمضان في ضراعة:

- بالله عليك يا أستاذ رمضان.. فصاح:

- ارحمينا..

فظلت المسكينة تسافر يوميًّا من قريتها إلى المنصورة، ومن المنصورة إلى القاهرة إلى وزارة القوى العاملة من ٢٠١١/٢/١٣ حتى ٢٠١١/٣/١م؛ تاريخ استقالة حكومة شفيق؛ من الخامسة صباحًا؛ لا تترك الوزارة إلا عصرًا، تذرف الدموع، والنقود، والضراعات الكثيرة لمقابلة الوزيرة؛ والسفر قطعة من العذاب. حتى أُتت حكومة عصام شرف نزولًا على رغبة الثوار؛ ولحقت الوزيرة بأركان النظام السابق، وخَلَّفَت الباب مُغلقًا، وجيء بـ د."البرادعي" وزيرًا، فقررت ثناء أن تصنع ما قاله لها مجاهد:

- اعتصمي بباب مكتبه؛ إياك أن تبرحيه، صيحي، ناوشي حتى تلاقيه.. فقابلت من شباب الثورة من وجدها تبكي:

- اذهبي إلى مكتب د.شرف.. فسألته:

- كيف؟ أنا هنا وحدي، ولا أعرف كيف الطريق إلى هناك؟ فوصفه لها.. وقال:

- خذي رقم.. أ/ أحمد أبو زيد - صحفي - بإذن الله سوف يحل مشكلتك..

فاتصلت بالصحفي؛ فقال لها:

- خليكي قاعدة، اوعي تتعتعي؛ الوزير عندك؛ فهرعت إلى الباب فوجدته؛ فلهجت:

- أنا ثناء؛ كلم حضرتك عنّي فلان؛ أريد أن توقع لي، سيادتك، على التأشيرة.. ودخل فدخلت وراءه؛ فقال لمدير مكتبه:

- خذ منها الورق يا مجدي؛ سنتصل بك.. فلمَّا أبطأ الوزير رجعت إلى مجاهد تبكي؛ فقواها؛ فرجعت تناوش رغم معارضة الحرس ونادت تصيح.. فأُدْخِلَتْ للوزير؛ قال:

- كل واحدة زوجها هناك أوافق عليه، لكن ائتني بعقد العمل الخاص بزوجك؛ فرجعت وملؤها السعادة تشكر لله، وللشيخ مجاهد خاصة؛ لكل من ساعدها.

وجاءت بعقد عمل الزوج، وسافرت إلى مدير مكتب معالي الوزير، فوجدت الكلام قد تغير تمامًا؛ وأن سفر الزوجة لزوجها قرار، لم يُصْدره الوزير بعد، ومطلوبٌ منها توقيع المستشار العمالي المصري بالرياض على عقدها هي.. فرجعت الدَّمْع ملء عينيها تشكو إلى مجاهد:

- لم أعد أستطيع كلام زوجي في شيء.. آخر مرة اتصلت كان غضبانًا؛ ورفض أن يكلمني.. قال:

- ابعثي له برسالة على الموبايل؛ قولي له الشيخ مجاهد – بنفسه - يريد أن يكلمك.. فقال يضاحكه ويؤكد له:

- أبشر يا ياسر؛ موضوع سفر الزوجة وافق عليه الوزير- فقط - مطلوب موافقة المستشار العمالي على العقد، وهذا آخر المطالب.. فاشتكى:

- رُحْتُ له ورفض، وفي كل مرة يسيء معاملتي، وبيني وبينه أكثر مائة كيلو، وفي كل مرة أترك العمل حتى غضب عليّ رب العمل السعودي، وهددني.. فقال مجاهد وهو يحادثه من خلال موبايل ثناء:

- اذهب هذه المرة، فقط؛ وكلمني من عنده، قُل: فلانٌ؛ مدير عام الاستخدام الداخلي بالدقهلية يريد محادثة سعادتك..فاشتكى المستشار العمالي:

- لم يصلني أيٌّ شيء من الوزارة؛ أتريدني أن أوقع على العقد بالموافقة، فأذهب أنا فيها؟ لا أستطيع الاعتماد على قرار بُعثَ إليك حتى يبعثَ إليّ.. فاتصل بـ رمضان عثمان؛ فأجاب:

- أُقسم بالله يا شيخ مجاهد، أن القرار الوزاري الجديد بالسماح بالسفر أرسلناه منذ يومين، وهو الآن في الطريق إليه.. وتالله؛ لكم قد كانت فرحة جميع أسرة إدارة الاستخدام الخارجي بثناء حيث حصلت على تأشيرة الدخول على جوازها واعْتِمادُ سفرها بهيجة!! وقال مجاهد يوصي لها ويضحك سعيدًا:

- أخيرًا يا ياسر أبشر؛ اعتمدت للزوجة أوراق سفرها وهي آتيتُك.

- اطلب سيادتك أيَّ حاجة آتيك من عندي، والفضل لك.

- فقط؛ أوصيك بثناء خيرًا؛ لقد صنعت ما لم يصنعه الرجال حتى تجيء إليك؛ كلمت الصحافة؛ أتت مكتب رئيس الوزراء؛ قامت على باب وزيرين، واعتصمت حتى استخرجت قرارًا جديدًا، ونحن جميعًا هنا نحبها؛ قمحية قوية بنت نكتة ودودا؛ سريعةٌ دَمْعُتُها وضحكتها؛ والألطف أنها تجيد ببراعة إذهاب غَضبك عنك يا ياسر، أدعو لكما: اللهم بارك لياسر في ثناء، وبارك له فيها...

* * *

وآهٍ من كل قلبٍ قاسٍ؛ لا تنفعه صلاةٌ، ولا صيامٌ.. وليس لله حاجة أن يدع المرء طعامه ولا شرابه؛ انتهى شأن خصم مجاهد؛ بلغ رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية أن الأخ انحرف عن المنهج القويم؛ خَلا إلى امرأة في شقة يعالجها بالقرآن مُخالفًا أهداف الجماعة مجانبة البدع، ومحدثات الأمور، بالإضافة إلى هدفها الرئيس؛ الدعوة إلى التوحيد الخالص، وأخذ الدين من نبعيه الصافيين القرآن والسنة الصحيحة. وتَقَدَّمَ مجاهد ليتسلم الجَدْوَلَ من الرئيس؛ وكان فضيلته قد نَوَّه في الاجتماع أن البعض قد رُفع من الجدول؛ ولعدم التجريح وسترًا للخُلة لن أذكر اسم الأخ إتباعًا لسنته - صلى الله عليه وسلم - ما بالُ أقوامٍ يفعلون كذا.. واستطرد فضيلته: آسف لفعل الأخ؛ نزل على السُّلَمِ لمّا علم برفعه من الجدول يشتم العبد لله، واعْتَدَّ لنفسه؛ أنه انتسب إلى الجماعة من قبل أن ندخلها، وأن فضيلة الشيخ محمود - رحمة الله عليه -

لو كان حيًّا ما قَدِمَ على رفعه من الجدول، حتى يقدم عليها هذا؛ وأشار إلى نفسه، وأسرّ إلى مجاهد وهو يُسَلِّمْهُ نسخته من الجدول: أتدري يا شيخ مجاهد عمن كنت أتحدث؟ عن فلان، وذكر اسم الأخ صريحًا، فاندفع هو تحت وطأة الهمّ، وسوء أدب الأخ معه أن يخبره:

- لا تدري يا دكتور أيمن ما يقوم به هذا الأخ في القرية تجاهي؟ يستخدمه فرد من الإخوان ليفسد علينا دعوتنا.

فرجع من اجتماع الدعاة غضبانًا يلوم نفسه: قد زال خطر هذا، وما عاد يفد إلى المسجد لشهود الجماعة؟ ما كان ينبغي أن تحدث به هذا؛ يعني رئيس الجماعة.. كان الأخ قد ظل حينًا؛ كحارس الرّمّة يجلس في هيئة ذليلة، تلقاء القبلة؛ ينتظر الإقامة، ومن جانبه كان إذا رآه استبقها ووقف يواجه الناس، طالعه في مبغضة شديدة قبل أن يستدير للإمامة، فإذا أخطأ في القراءة أسرع يصوّبه فضيحة؛ أنه تقدم على من هو أقرأ منه؛ وعندما كانت تختلف عليه آية، ويحتاج إلى مدد كان يسكت فلا يعينه لاعتدائه وكِبْره، ولأن الإمامة هَمٌ ثقيل تركه يفرغ كل ما في جعبته من آية، مواطن مُعيَّنة من الكتاب مضى يتعقبه فيها، ليعلمه أنه مهما قرأ فهو عارف جيد بالموضع الذي يقرأ منه لعلَّه ينتهي، ثمَّ انتهى شأنه إلى الفرار بحادثة تطول؛ وقع فيه بسببها أحد المصلين وهدده:

- إن عدت إلى القبلة سيكون مني كذا وكذا.. فحرَّض فرد الإخوان عينه أبا سريع ليقوم مقامه، وأخذ يُرَاضي له الناس وَيَذُبُ عنه، لكنَّ مصيبة أبي سريع

أنه يسرق في الصلاة، ويلحن في القراءة، وإذا أخطأ في ركعة لا يدري كيف يصلحها؛ وكان "سامي" الشاب الذي تحمل شأن الأذان والإقامة؛ لا يقيم الصلاة إلا إذا حضر هو، فسعى فرد الإخوان لانتزاع المفاتيح من سامي عقب هذا الحادث.. أبطأ هو؛ وتَلَفَتَ الناس؛ فاضطر سامي للإقامة، لكن من مكبر الصوت الموضوع في القبلة لقراءة الإمام؛ ليحول بين أبي سريع وبين دخولها، ليصل هو بالناس، ولما التفت ليواجه الناس، ويصفهم، أبصره يقف، وكان قد حضر أثناء الإقامة؛ فاستَحْيا سامي فقام بيده يطلبه للإمامة، وراح يتأخر؛ فهرول أبو سريع داخلًا القبلة، فثَبُتَ سامي مكانه، فوقف أبو سريع إلى جواره.. وانتهى الحال إلى وجود إمامين في القبلة.. وانْتظَرَ الناس أن يتأخر أحدهما للآخر، وأخذ البعض في التذمر، وَتصاعدت الهمهمة!! فالناس تريد في النهاية أن تفرغ من الصلاة؛ لكن كيف لهما إمامان؟ وأشفق هو من الموقف فطلب سامي، وهو يعلم أنه يُطيعه:

- تعال يا شيخ سامي؟ وأخذ بيده إلى الصف.. وتوجه إلى أبي سريع كذلك؛ وكذا يكون قد ساوى بين الخصمين.. وناداه:

- تعالى يا شيخ يحيى؟ وأومأ لأبي سريع أن يدخل إلى الصف فاستنكف:

- أنا أكبر منك سنًا، وتسمَّر مكانه.. فسأله:

- أمقتنعٌ أنت أم صدقت نفسك؟!.. فلم يجب بل ظلَّ كصنم؛ فتركه ودخل هو إلى الصف؛ وما ظنُّ أن هذا يجعله طرفًا في النزاع، وأخذ البعض يبتسم،

فخلَّفه، ودخل الصف مخذولًا؛ وما أن فُرِغَ من الصلاة، حتى وقع الناس بعضهم في بعض؛ هذا من شيعته وهذا من عدوه، وتصايحوا، ووقع التدافع بالأيدي؛ ثم كان على رواد المسجد أن يشهدوا هذا الصراع كل يوم؛ يأخذ سامي في الإقامة من مكبر الصوت الذي في القبلة للإمام، فيهرول أبو سريع واقفًا إلى جواره في القبلة!! وكان الماضي إلى المسجد لابد أن يُرَوّضَ نفسه على الصبر؛ فأبو سريع يُبيت لكل صلاة؛ وسامي عازم أن يصرفه عن دخول القبلة؛ وأبو سريع لن يتركها أبدًا، فاضطر سامي أن يأمر غيره بالإقامة ليسبق إلى القبلة، فينهض أبو سريع قبل أن يأخذ المقيم في الإقامة يسرع إلى القبلة؛ فيتناول السجادة التي وضعت للإمام فينفضها في الهواء مرة أو مرتين، ينتظر الإقامة فَيُتْرك في القبلة ينتظر، والناس لا تصنع شيئًا سوى الضحك؛ فاضطر أن يتخلف حتى يفرغ المقيم من الإقامة، عندها يتأكد أن القبلة شُغلت، فاقتاد أحد المصلين سامي لثنيه عن هذا الدفاع المستميت:

- أنت تدافع عن الشيخ مجاهد، وهو ليس من أهلك.. قال الرجل:

- وكان يعمل جزّارًا، أنا أدافع عن الحق.. قال:

- عن أي حقٍ تدافع؟! دَع الإمامة شاء؟ فغلبه الشاب كذلك:

- أرأيت إن حدث حادث لأمّ ولدك، أو لإحدى بناتك، من كنت تذهب فتسْتَفْتِهِ فلان أم فلان؟

- أذهب إلى الشيخ مجاهد.

- ولِمَ تذهب إليه ولَمْ تذهب إلى فلان ؟! قال:

- لأني أعلم أن الشيخ مجاهد أعرف.

- تعني؛ دارس؛ وهو حافظ للقرآن جميعه عن ظهر قلب، ومستقيم؛ لذا تذهب إليه؛ ولذا هو أحق بالإمامة؛ بل يجب أن يعامل منَّا جميعًا باحترامٍ؛ أمَّا فلان، فيلحن في القراءة، ويسرق في الصلاة، وضحك؛ ويصافح النساء، ويخرج إلى المسجد يصلي بالناس، ويوم الخميس يخرج إلى المقابر يقرؤه الناس القرآن؛ يعني صاحب بدعة؟ فعَيَّ عن صرفه عن مآزرة مجاهد..

وبعد ٢٥ يناير باتت لغة الإقصاء ظاهرة؛ فكل من انتسب إلى النظام السابق نُعتَ؛ " فِلٌ " وَسُعِيَ في إقصائه عن الحياة العامة مَهْما كان الشخص مُجيدًا، ولو لم تكن له جريرة إلا أنّه لم يكن مناوئًا للنظام السابق، وزكّى هذا الشعور لدى العامة، الكلمات المتداولة بين النخبة التي قعدت تتحدث لوسائل الإعلام عن ثروات وطن منهوبة، وأموال ضخمة مُهَرَّبة؛ وحيثما ولّى المرء سمع دندنة لشائعة، وملأت الشائعات الناس غِلًا؛ وجرت المغالاة؛ فإن أراد المصدر تصحيح نبأ كَذبٍ؛ تلقّاه الناس في شكٍ، وعاد الحديث عن الشائعة كأنها حقيقة؛ ولو تحدَّث شخص عن مزيَةٍ للنظام السابق؛ كالأمن، أو النمو الاقتصادي، أو الاحتياطي النقدي، وجد هجومًا شديدًا، وراحت النّخبة تنتقل من قناة إلى قناة، ومن برنامج إلى برنامج حتى حُفظوا؛ كما حُفِظَ وجوه النظام السابق؛ وتداول الصوت العالي، بل الشتم، والقذف، وَرَفضِ الآخر المخالف في الرأي..

هذا؛ وإن وقع النظام السابق في إقصاء فيصلًا واحدًا فجُعِلَ محذورًا لأنه طالبٌ للحكم، فطول فترة حكم مبارك أشربت القلوب نوعًا من الاستبداد حتى النُّخبة جميعهم خرجوا من تحت عباءة مبارك؛ بل تداول الفكر النمطيَّ، ونسيت النخبة أنها عانت من الإقصاء؛ وأنه لغة عنيفة لا ينبغي تداولها؛ ظهر هذا جليًّا في اختيار اللجنة التأسيسية لوضع الدستور الجديد؛ ففي البرنامج التليفزيوني المسائي العاشرة تحدَّث أحد النواب المستقلين إلى الإعلامية الشهيرة؛ أن قرار انسحابه من الجمعية التأسيسية المكلفة بوضع الدستور لم يكن سهلًا أبدًا، وبني على أسس موضوعية، لأن نسبة تمثيل الإسلاميين باللجنة تجاوزت ٦٠ في المئة وليس ٤٨ في المئة كما قالت جماعة الإخوان وأكد " حمزاوي؛" أستاذ للعلوم السياسية، أنّه تم انتخابه كنائب مستقل، فلا يوجد لديه ما يسمي بالالتزام الحزبي، لذا قَرَّرَ الانسحاب من الجمعية التأسيسية، بسبب غياب معايير الكفاءة لصالح الولاء الحزبي بالمعنى الضيق، وتَغْيُّبَ أهل الخبرة، فضلا على غياب التمثيل المتوازن في الجمعية، وأن الجمعية لابد أن تعكس خليطًا واسعًا من الانتماءات حتى يخرج دُستورٌ محْترمٌ، يليق بالمجتمع، ويعبر عنه؛ وأنه عندما يتم انتخاب طالب من جامعة المنصورة ليمثل طلاب مصر نكتشف أنه منتمٍ لجماعة الإخوان المسلمين!.. وأن نسبة ال ٤٨ في المئة التي أعلن الإسلاميون أنها تمثلهم ليست صحيحة لأنها تتجاوز ٥٥ في المئة وحين نتحدث عن المنتمين تنظيمًا لمشروع الإسلام السياسي سنجد النسبة تجاوزت ٦٠ في المئة

فعقد رئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة؛ المشير طنطاوي لقاءً مع رؤساء ثمانية عشر حزبًا ونائبين من أعضاء البرلمان، لمناقشة التطورات على الساحة السياسية؛ وسعى لحثهم على التّوصُّل إلى اتفاق فيما بينهم حول الجمعية التأسيسية للدستور في ضوء الجدل القائم حول الموضوع.

في ذات الوقت قررت محكمة القضاء الإداري بمجلس الدولة حجز دعوي الطعن على" التأسيسية" للنطق بالحكم بجلسة العاشر من إبريل المقبل، واستمعت المحكمة لمرافعات مقيمي الدعاوي الذين طالبوا بإصدار حكم بإلغاء تشكيل الجمعية التأسيسية للدستور، وبطلانها استنادًا إلى أنها لا تعبّر عن جميع أطياف المجتمع؛ ومخالفتها للقواعد، والأعراف الصحيحة لوضع الدساتير.

وقال د."عصفور" واحد من النفر الأربع الذي أقام دعاوي الطعون: إن تشكيل اللجنة يشوبه عورًا؛ فاللجنة لا يتواجد فيها أي عميد لكلية الحقوق، رغم وجود سبع عشرة كلية حقوق في مصر، وأنه لم يتم اختيار أي من أساتذة القانون الدستوري في عضوية اللجنة التأسيسية.

وقال نقيب المحامين: أن أعضاء مجلس الشعب، وكلاء من الشعب، وأنه لا يجوز للوكيل اختيار نفسه، وإنما عليه أن يُرَشّحَ وَيُنْتَخَبَ من الآخرين..

متاهة وقع فيها الشعب المصري، لا يدري متى ينتهي هذا الجدل القائم؛ فالكل يصيح؟ والبرامج التليفزيونية حامية الوطيس؛ وشهدت قاعة المحكمة

فوضى عارمة بدأت بمشادة بين شخص وصف المحامي مقيم الدعوى بأنه من الفلول، فاعتدى أنصار الأخير على الشخص، واحتدت المناقشات، وحدثت فوضى فاضطر القاضي إلى رفع الجلسة؛ واحتشد عشرات المواطنين أمام المحكمة رافعين يافطات: الدستور مش أغلبية..هذه وثيقة مصرية..

وقال قيادي في حركة "كفاية": في حالة رفض محكمة القضاء الإداري للطعن المقدم فإن البديل سيكون تشكيل لجنة من مائة عضو يقومون بوضع دستور موازٍ للبلاد، والاختيار النهائي للشعب.

وقال طبيب المسالك الشهير" غنيم " القيادي في حزب المصري الديمقراطي الاجتماعي: أن التجربة أثبتت أن الميدان هو وسيلة تحقيق المصريين لغاياتهم، وأنه في حالة رفض الطعن فإن القوي السياسية ستنظم المليونيات حتى يتراجع مدعو الأغلبية..

فاستشرف الناس الصحف كلاعب أساسي على الساحة في اليوم التالي؛ جريدة الوفد: مصير تأسيسية الدستور ١٠ أبريل؛ الفوضى تسيطر على جلسة طعون تأسيسية الدستور.. المحكمة تشهد اشتباكات.. وزير القوى العاملة من بين رافعي الدعاوي.. تقارير حقوقية تؤكد: تشكيل التأسيسية انحراف بالتشريع يهدد بسقوط الدستور.

ولخَصت المباراة صحيفة المصري اليوم: التأسيسية تتعثر، والعسكري يتدخل لإخماد الفتنة.. الانسحابات تتوالي من الجمعية، ومسيرات إلى البرلمان اليوم لرفضها، والقضاء يحسم مصيرها١٠ أبريل ٢٠١٢م..

أمّا الأهرام الحكومية فجرت مستأنسة كالعادة: المشير يبحث مع قادة الأحزاب احتواء أزمة الدستور.. التأسيسية تجتمع اليوم.. والحكم في الطعون في العاشر من أبريل..

كان سباق الرئاسة قد بدأ بالأمس؛ ففي شوارع القاهرة في موكبٍ ضخمٍ؛ ضَمَّ عشرات الآلاف من أنصاره توجه المرشح الإسلامي حازم صلاح إلى اللجنة العليا للانتخابات الرئاسية بمصر الجديدة لتقديم أوراق ترشيحه؛ انطلقت المسيرة عقب صلاة الجمعة من أمام مسجد " أسد بن الفرات " بالدقي، مستخدمة السيارات الملاكي، وسيارات ، بالإضافة إلى عشرة أتوبيسات حملت توكيلات المواطنين؛ قيل أنها تجاوزت ١٦٠ ألف توكيلًا، وتوكيلات ثمانية وخمسين نائبًا من مجلسي الشعب والشورى؛ وغطت " بوسترات أبو إسماعيل " السيارات التي حوت مكبرات صوت أذاعت أناشيد دينية، وأغاني مؤيدة للمرشح السلفي؛ كان مشهده بين أنصاره أقرب إلى ملكٍ متوج منه إلى مرشح تجرى عليه - متى قُبِلَت توكيلاته - احتمالات الخسارة والفوز! ورفض أنصاره تولي قوات الشرطة تأمين دخول الصناديق الحاوية للتوكيلات إلى مقر اللجنة، وأصروا على تأمين دخولها من جانب الحملة فقط، وأقاموا للصناديق سلاسل بشرية أمام المقر.

وفي مدينة العيَّاط – أيضًا - عقب صلاة الجمعة، في مؤتمرٍ جماهيريّ عقده د.العَوَّا؛ ذو المرجعية الإسلامية - كما أحب أن يُطْلقَ على نفسه - هاجم فيه المستشار "عبد المعز" عضو اللجنة العليا للانتخابات، وأشار إلى قلقه من وجوده في اللجنة، وأنه يطلب منه التنحي ليرفع الحرج عن أعضائها؛ وأنه لن يثق في قراراتها مادام تواجده؛ بسبب تدخله في قضية سفر الأمريكيين المتهمين في قضية التمويل الأجنبي، وحذر من أن هناك حملة شرسة موجهة نحو الإسلام، وذلك يعود إلى قوته؛ وطمأن الحاضرين أن الإسلام لم يزل قويًّا رغم الهجوم الذي يُوجه إليه من أعدائه، وقال: أما عن الهجوم الذي يقوم به البعض عليَّ في الفضائيات، والدعاية المضادة التي تروج ضدي في هذه الفترة فأني أحيل أمر هؤلاء إلى الله، ولن أُسيء إليهم.

وأعلن المستشار" البسطويسي" المرشح الليبرالي؛ أنه سيتوجه غدًا الأحد إلى مقر اللجنة العليا لتقديم أوراقه كمرشحٍ لحزب التجمع، بعد أن استكمل جميع الأوراق المطلوبة، وأشاد بالتجربة التونسية في وضع الدستور بعد الثورة، وعن حالة الوعي السياسي، حيث نأى الحزب الإسلامي الحاكم النهضة بنفسه عن الاستحواذ بالنصيب الأكبر من جمعية وضع الدستور، وكان ساعيًا لأن يشارك أكبر قدر ممكن من الطوائف والشرائح في وضعه.. وقال: كنت أتمنى أن يكون الإخوان المسلمون في مصر على هذه الدرجة نفسها من الوعي السياسي.

وفى حوارٍ لحمدين صباحي بجريدة الأهرام؛ رفض تورط الجيش في السياسة، وأرسل مرشح قوى الثورة الناصري إلى الشعب هذه الرسائل القصيرة السريعة: مصر أقوي من البرلمان والأحزاب، ولن تصبح دولة دينية.. كنت أتمنى تشكيل اللجنة التأسيسية بالكامل من خارج البرلمان.. الرئيس المقبل صناعة مصرية خالصة، ولا مجال لتدخل خارجي.. لابد من تطهير مؤسسات الدولة باستئصال رموز النظام السابق.. نحن بحاجة إلى رئيسٍ ينقل الثورة من الميادين إلى الدواوين.. يجب رفع الحصار عن غزة، وقطع الغاز عن إسرائيل.

أمَّا الفريق أحمد شفيق؛ قائد السلاح الجوي؛ وزير الطيران المدني في النظام السابق؛ وآخر رئيس وزراء في عهد مبارك، فجاءت كلمته من داخل كنيسة القديسة؛ رفقة أثناء زيارته لقرية؛ سنباط بمحافظة الغربية - أيضًا - عقب صلاة الجمعة؛ قال: عَمِلْتُ لمدة خمسين سنة في العمل العام، وأعرف ما يهمّ المواطن المصري، خاصة الفلاح، لأن مصر قدمت الدليل للعالم في الزراعة التي عانت من الإهمال لسنوات طويلة في هذا القطاع، علينا أن نعمل على تعويض الفلاح؛ معربًا عن تفاؤله لزيارته دارين للعبادة في آنٍ واحد هما الكنيسة والمسجد، وتابع؛ هذه بشارة..سأكون خادمًا للجميع، متعهدًا بأداء الواجب مائة في المائة في حالة فوزي في الانتخابات وتولي المهمة.

وقال عمرو موسي؛ وزير الخارجية الأسبق؛ مرشح حزب الوفد: أفضّل أن تكون مدة الرئاسة أربع سنوات فقط، وأنها فترة ستكون كافية لوضع البلاد

على الطريق الصحيح نحو التقدم والبناء، وقال؛ الساحة السياسية المصرية تشهد حاليًا بعض التوتر والقلق على خلفية تشكيل اللجنة التأسيسية لإعداد الدستور، ولكننا قادرين على تخطي وعبور هذه المرحلة، وسيتم إجراء الانتخابات الرئاسية في موعدها، وستكون حرة وشفافة.

وبعد اجتماعٍ مُغْلقٍ مُطَوَّل من صباح أمس، لم تستقر جماعة الإخوان المسلمين على تسمية مرشحها للرئاسة بعد اعتذار خيرت الشاطر؛ النائب الأول للمرشد، وأجلت الجماعة اتخاذ قرارها إلى الثلاثاء المقبل، وفرضت كردونًا أمنيًّا من شبابها أمام مبنى المقر العام لها بالمقطم؛ واستاء مراسلو الإعلام من أسلوب التعامل إذ وقفوا لساعات طويلة أمام مبنى المقر دون اهتمام بهم؛ وأكد المرشد العام: الجماعة لن ترشح أحد أعضائها إلا إذا استشعرت بتهديد على مصر، وأظهرت شاشة التلفاز رجلًا كبير السن حضر من أسيوط إلى مقر الجماعة؛ ظل جالسًا، مُعلنًا أنه يحمل رسالة ويريد مقابلة قادة الجماعة، وبأعلى صوته أخذ يردد مطالبًا الجماعة بتنفيذ وعودها بتطبيق الشريعة، وإصلاح البلاد، وعدم ممارساتها لما كان يفعله الحزب الوطني المنحل.

* * *

وبعد الأخذ والرد، أخذت مفاتيح المسجد من نصير مجاهد الشاب سامي؛ وأعطيت لشخص، قِيلَ إنه مُحايد؛ ليس له من الأمر شيء إلا الأذان والإقامة؛ يترك التقدم للإمامة لمن شاء، فأنشأ عدُو مجاهد

الألد وخليل أبـي سريع يتحايل لصاحبه؛ يقعد للمتعهد الجديد يتودد إليه حتى أذِنَ له في الأذان والإقامة، فأخذ يسْرعُ في الإقامة إذا حضر صاحبه، ويبطئ إذا حضر مجاهد، وحرَّض شخصًا آخرًا أن يتقدم للإمامة إذا تخلف صاحبه وكان مجاهد حاضرًا، ولأن مجاهد لا يخطو إلى القبلة إلا أن يفرغ المقيم من الإقامة، وجميعهم - عدا أبي سريع - يحجمون عن التقدم في حضوره، فقام ينفخ في شخص المتعهد نصف المتعلم:

- ما رأيك يا أستاذ فلان، لو كان من أمر المسجد كذا وذا؟ - يكسبه الثقة - ثمَّ أوعز إليه بالتقدم؛ لأن الناس تكره إمامة ممجاه، وجرّأه على دخول القبلة حتى وقعت هذه الواقعة.. تخلف كُل الأئمة؛ بما فيهم الشخص المُوعز إليه، فأبصر خليل أبي سريع سامي قادمًا من محل الوضوء؛ ولأنه تَعجلَ الإقامة، ولم يجد من يحرضه لها، أَسرَعَ بنفسه إلى القبلة كي يصلي بالناس، ولأنه من العوام استنكر عليه سامي وقال يحدث الناس:
- كيف يجترأ هذا الشخص أن يصلي بكم؟!

فسمع الشخص هذا التقريع الشديد، فترك القبلة وكان قد همَّ بالدّخول في الصلاة؛ فخلفها؛ ليلتفت إلى سامي محذرًا: - اسكت يا ولد.. فأبصر سامي مجاهد مأمومًا يقف في الصف فاستطرد:

- لن أسكت، كيف تتجرأ أن تصلي بالناس في حضرة هذا الرجل؛ - وكان مجاهد قد حضر أثناء الإقامة وللهفة الشخص حين شاهد سامي قادمًا، لم

يلتفت فيرى - ترك القبلة وترك الصلاة ومشى إلى سامي ليصدمه؛ وكان ظاهر البأس رغم تقدمه في السن؛ يعمل سائق نقل متوسط قبل خروجه معاشًا مبكرًا، وشجعه على الإقدام علمه بخصمه المسالم الذي لا يجيد سوى الكلام، وأنه يعاني الغضروف، ولحظه التعس أبصر بالمشهد أخُ لسامي كان أثناء خدمته بالجيش مجند في الأمن المركزي قويًّا فاقتحم للمعتدي فجذبه من خناقه جذبة شديدة، ودمدم:

- أنت رجل سافل، هذه المشاكل أنت سببها، الأبعد ابن الكلب سأقتلك.. وأخذ يرفعه من خناقه يدنيه من رأسه لينطحه بينما الآخر مذعورًا يجذب نفسه للوراء نازلًا بمؤخرته إلى الأرض.. فأسرعوا يخلصونه من يده:

- سيبه يا فلان؟ الرجل كأبيك! فدَمْدَم:

- سأقتله، هذا أس البلاء.. فتكاثروا كي يستخرجوه من يده؛ فتحدث لهم:

- هو لا يدع أن يحرض صاحبه الذي يلحن في القراءة، ويسرق في الصلاة ليسبق إلى الإمامة ليفسد علينا الصلاة.. وكان هذا الأخ لديه بقية من فقهٍ تعلمه؛ فأردف:

- أإذا لم يجد من يحرضه يجري إليها هو؛ والشيخ مجاهد حاضرًا ؟!.. فأقسم الرجل لأخي مجاهد وكان شاهدًا للواقعة؛ فمضي بالشخص جانبًا يعاتبه فاعتذر إليه:

- والله ما رأيت أخاك؛ والله لو رأيته ما كنت متقدمًا.

* * *